(تحمل المسؤولية في زمن البناء)

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30].

أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَمَسؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، فالإمامُ رَاعٍ، ومَسْؤولٌ عَن رَعِيَّتِهِ، والرجلُ رَاعٍ في أهله، وهو مَسؤولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والمرأَةُ في بَيْتِ زَوجِها رَاعيةٌ، وهي مَسؤولَةٌ عن رَعيَّتِها، والخادم في مال سيده راع، وهو مسؤول عن رَعِيَّتِهِ**» قال: فَسمِعتُ هؤلاءِ من النبي صلى الله عليه وسلم، وأحسِبُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «**والرجلُ في مالِ أبيهِ راعٍ، ومَسْؤولٌ عن رعيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وكُلُّكُم مَسؤولٌ عن رعيَّتِهِ**».

ولا أعني بتحمل المسؤولية في هذه الخطبة أن يصير المرء مسؤولاً سياسياً أو إدارياً، كأن يكون وزيراً أو سفيراً أو رئيساً أو مديراً وحسب؛ بل أعني بها المسؤولية التي جاءت في الحديث النبوي الشريف: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول".

أيها الإخوة: تعلمون أن الإسلام بكَّر بتحميل الإنسان التكاليف لتبدأ المسؤولية الشرعية ببلوغه عاقلاً أي قريباً من الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمره أو عمرها.. ويستمر التكليف وتحميل المسؤولية مادام القلب يخفق والعقل يعي..

ولئن كانت النظم الوضعية تريد تأخير سن المساءلة إلى الثامنة عشرة، فإن الإسلام لا يزال يدعو معتنقه إلى عمارة الأرض من البلوغ إلى أن يغرغر. ذلك لأن تحمل المسؤولية سِرُّ الحياة وعنوان التقدّم، وهو ثمن الاستخلاف في الأرض، وأفضل هدية يقدّمها الآباء للأبناء.

ومن صور المسؤولية التي نريدك أن تحملها في زمن البناء:

مسؤولية رجال الإعلام بتقديم النافع للناس، ومسؤولية الناس بالتعقّل في تلقّي الأخبار وتمييز الصحيح من الخطأ.

مسؤولية الحاكم تجاه الرعيّة بإحاطتهم بعنايته ورحمته وبره، ومسؤولية الرعيّة تجاه الحاكم بطاعته ونصحه.

أما صور التخلي عن المسؤولية والتي تؤذي البلاد والعباد فمنها:

– الاستغراقُ بتحليل الأحداث والمجريات، والدخول بمهاترات وجدل عقيم في مجموعات التواصل والاتصال.

– الجلوسُ لساعات طويلة وراء الجوال للاشتغال بتقييم الأشخاص بأفعالهم وأقوالهم ونواياهم وتركُ ساحة العمل والبناء.

– اختلاطُ الأدوار بين النساء والرجال: فتجدُ المرأة تخرج باكرة لتعمل وتكدح، وزوجها أو أخوها يتوسّد الكسل واللامبالاة.

أيها الإخوة:

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: 24] توجيه قرآني يدعونا لتحمّل المسؤوليات العامة والخاصة.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: 92، 93] توجيه قرآني يدعونا لتحمّل المسؤوليات الملقاة على عواتقنا والتي نستطيع إضافتها وحَملها.

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: 6] توجيه قرآني يدعونا لتحمّل المسؤولية وعدم التقصير بها.

فَلْنجهدْ أن نؤدّي ما علينا، وأن نسأل الله المعونة، إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين